نماذج من كتابات حول بهاء الدين العامليّ

(وفقًا للتسلسل الزمنيّ)

أكثر المحبيّ، وغيره، من الثناء عليه، وَذَكَرَهُ عليّ بن معصوم، وقال: وُلِدَ ببعلبك سنة ٩٤٣هـ / ١٥٤٦م. وعن أبي المعالي أنّه وُلِدَ بقزوين. وعلى الراوية الأولى أنّ أباه انتقلَ به إلى بلاد العجم. ولمّا اشتدَّ كاهله أخذ في السياحة، فساح ثلاثين سنة، واجتمع في أثناء ذلك بكثير من أهل الفضل، ودخل مصر، وألّف بها كتابًا سمّاه الكشكول، جمَعَ فيه كلّ نادرة من علوم شتّى. ثمّ قدم إلى القدس متجنّبًا مخالطة الناس، فلم يَخْفَ فضله، ودرس عليه الرضيّ القدسيّ شيئًا من الهيئة والهندسة ثمّ سار إلى الشام، ووصل إلى دمشق، واجتمع بالبوريني وهو لا يعرفه، فلم يقدّره أوّلًا حقّ قدرة، ولمّا تجاذبا أطراف الحديث، نهض البوريني وقال: لا بدّ أن تكون أنت البهاء الحارثيّ، واعتنقا، فسأله البهاء كتمان أمره، وأقلع إلى حلب مستخفيًا بهيئة درويش، ثمّ عاد وقطن بأرض العجم، وألّف مؤَلفات جليلة. وله لغز طويل مشهور وذَكَرَهُ المحبيّ في ترجمته. وله كثير من الشعر الفصيح جمع فيه بين الصناعة والدّقة والرقّة.

المطران يوسف الدبس،

"في المشاهير السوريّين في هذا القرن: ٦، البهاء العامليّ" في **تاريخ سورية**، الجزء الرابع، المجلّد السابع، **في تاريخ سورية في أيّام السلاطين العثمانيّين العِظام**، بيروت، المطبعة العموميّة، ١٩٠٣، ص ٢٣٠ – ٢٣١.

###

فاق بهاء الدين أباه [الشيخ حسين بن عبد الصمد العامليّ، ٩١٨ – ٩٨٤ م/١٥١٢ – ١٥٧٦م] علمًا وشهرة. فإنه كان فقيهًا وفيلسوفًا في الرياضيّات. وكان الفرس يعرفونه "بشيخي بهائي"، وقد رُفِعَ إلى رتبة شيخ الإسلام في أصفهان حيث كان من ألمع الشخصيّات في بلاط الشاه عبّاس. وعندما عاد من الحجّ، عرّج على جبل عامل، موطنه الأوّل، متخفيًّا بزيّ أحد الدراويش. ومن الكتب التي اشتهر بها كتاب ضمنّه فتاوي وأحكامًا شرعيّة، عُرِف بين الناس. وبالإضافة إلى هذا الكتاب فإنّه ألّف كتاب الكشكول، وهو كتابٌ جامع، فيه الأخبار والنوادر والأدب. وهو أشبه بمفكّرة أدبيّة. وقد طُبِعَ الكتاب في مصر. ومنه طبعة على ا لحجر طُبِعَتْ في بلاد فارس.

فيليب حتّي،

"المتاولة" في **لبنان في التاريخ منذ أقدم العصور التاريخيّة حتّى يومنا هذا**، ترجمة د. أنيس فريحة، مراجعة د. نقولا زيادة، بيروت – نيويورك، مؤسّسة فرنكلين المُساهِمة للطباعة والنشر، ١٩٥٩، ص ٤٩٩.

###

إنّ العقل المبدع الذي وُهِبَه البهاء، والفكر الذي جَوَّل في جميع الآفاق، ومكّنه من معارف عصره، ونتاج المتقدِّمين، قد أَنْتَجَ فأَكْثَرَ. وكان عدد مصنَّفاته الكبير دليلًا على علوّ همّته، ومطاردته المعرفة. ولقد جاء في مصنّفاته بكلّ جديد مُبتكر في كلّ علم وفنّ [...]. وتشكِّل مؤلّفاته موسوعة فصَّلت معارف عصره المتنوّعة، [...]. وقد ذكرت المصادر أنّ عدد مؤلّفاته يزيد على سبعة وسبعين مصنّفًا عدا قصائده وأراجيزه وشروحه وحواشيه على مؤلّفاته ومؤلّفات الآخرين من العلماء المعاصرين وتلامذته[١].

ولقد كانت مؤلَّفاته مركز الثقل في معارف عصره. فهي لم تكن فقط خير معين للدراسات المتنوّعة، بل استقطبت حركة فكريّة شاملة، وقامت حولها الشروح والتعليقات العديدة، حتّى بعد وفاته، بما يزيد على ثلاثة قرون، لأنّ ما جاء به كان القمّة في الإنتاج.

لقد جاءت تعاريفه للجبر خير ما حاوله المفكّرون والعاملون بالجبر في العربيّة[٢].

ولقد كانت الشروح على كتبه أكثر من كتبه، والحواشي على مصنَّفاته يزيد على أضعاف عدد مصنّفاته. كما تُرْجِمَتْ هذه الكتب إلى الفارسيّة، ونُقِل بعضها من الفارسيّة إلى العربيّة لأنّه حذق لغة الفرس وألَّف بها وكان شعره بالفارسيّة أكثر من شعره بالعربيّة[٣]، كما تُرْجِمت بعض مؤلّفاته إلى اللغات الأوروبيّة، ومنها كتابه الشهير خلاصة الحساب والهندسة، نقله للألمانية الأستاذ نسلمان (Nesselman) في برلين عام ١٨٤٣م وطُبع هناك[٤]، وتُرجِمَ هذا الكتاب إلى لغات شرقيّة عديدة كالفارسيّة، كما تُرجِم لأهميّته إلى اللغة الفَرنسيّة عام ١٨٦٤م[٥]، وعلى الكتاب شروح عدة غير مطبوعة بالعربيّة، والفارسيّة، مع حواشي مطبوعة تقارب الأربعين[٦].

محمّد كاظم مكيّ،

الحركة الفكريّة والأدبيّة في جبل عامل، الطبعة الأولى، بيروت، دار الأندلس ١٩٦٣، ص ١٠٠– ١٠١.

###

لقد أُعطي البهائيّ عقلًا مبدعًا، وفكرًا خلّاقًا. تمكّن خلال تجواله في البلاد العربيّة والإسلاميّة، أن يكتسب ثقافة شاملة، ومعرفة واسعة، ساعدتاه على تأليف عدد كبير من المصنَّفات الدينيّة والأدبيّة والعلميّة.

[١] الغدير، ٢٦٠/١١ – ٢٦٢.

[٢] دائرة المعارف اللبنانية، ٢٧٤/٦.

[٣] المعلوف، العرفان، ٥٤/٢٣.

[٤] سركيس، معجم المطبوعات ١٣٦٣.

[٥] زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية ٣٥٣/٣.

[٦] الغدير، ٢٦٥/١١ – ٢٦٧.

وتشكّل مؤلّفاته موسوعة فَصَّلَتْ معارف عصره المتنوّعة، [...] ولقد كانت مركز الثقل في معارف عصره. فهي لم تكن فقط خير معين للدراسات المتنوّعة، بل استقطبت حركة فكريّة شاملة، وقامت حولها الشروح والتعليقات العديدة، حتّى بعد وفاته، بما يزيد على ثلاثة قرون، لأنّ ما جاء به القمّة في الإنتاج.

[...] وقد جاءت الشروح على كتبه أضعاف ما ألّف وصنّف. ودليل نجاح كتبه وشهرتها أنّها تُرْجِمَتْ إلى اللغة الفارسّية، كما أنّ كتبه التي ألّفها باللغة الفارسيّة، تُرْجِمَتْ إلى العربية، وإلى عدّة لغات أوروبيّة، ومنها كتابه الشهير خلاصة الحساب والهندسة.

عبد المجيد الحرّ،

معالم الأدب العامليّ من بداية القرن الرابع الهجريّ/ العاشر الميلاديّ حتّى نهاية القرن الثاني عشر الهجريّ/ الثامن عشر الميلاديّ، بيروت، جامعة القدّيس يوسف، كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، فرع الآداب العربيّة، أطروحة أُعدَّت لنيل شهادة الدكتوراه (حلقة ثالثة) في اللغة العربيّة وآدابها، إشراف الدكتور أحمد مكّي، ١٩٨١، ص ٢٤٤.

###

لقد عاش البهائّي في محيط كلّ ما فيه يشير إلى التطرّف. يعيش الحكماء والفقهاء والمحدّثون والدراويش والزهّاد والعبّاد والمتصوّفة إلى جانب آلاف المحتالين والمشعوذين والمستهترين، وبين الجميع قطيعة كاملة وعداء مُسْتَحْكِم. وانقسم الفلاسفة إلى مشّائين وإشراقيّين، والفقهاء إلى مجتهدين وإخباريّين، [...]، وكلّ فرقة حاربت الآخرى قولًا وفعلًا، وكلّ فرقة اتّهمت الأخرى بالفسق أو الكفر أو النفاق. هذا بالإضافة إلى الإيمان بالتنجيم والخرافات والأوهام والسحر.

[...] في هذا العصر المضّطرب الذي خرج فيه الناس عن حدود الاعتدال، ترفّع البهائيّ عن التعصّب، وانتقد أخطاء الجميع دون استثناء. انتقد في شعره، العربيّ والفارسيّ، المتشرّعين الذين يجترّون آراء السابقين، والذين استغلّوا منصبهم الدينّي لخداع العوامّ، أو للتقرّب من السلاطين. وانتقد المتصوّفة الذين غلّبوا الطريقة على الحقيقة، والعوامّ الذين يصدّقون كلّ ناعق. كما طغت نزعة التصوّف والعِرفان على شعره الفارسيّ كلّه...

وخلاصة ما يذهب إليه أنّ الإنسان لا يستطيع أن يصل إلى معرفة الحقّ إلّا بالعزلة، بعيدًا عن القال والقيل، وبعيدًا عن الخَلق المَجازِيّين. ولكنّ العزلة لا تكون عزلة إلّا إذا تلفَّعَت بزيّ الزهد، ولا يكون الزهد زهدًا إلّا إذا اقترن بالعلم الحقيقيّ المُوصِل إلى طريق الحقّ، المجبول بالخوف والخشية[١].

[...] لقد سلك الشيخ البهائيّ، في حياته في إيران، مسلكًا مختلفًا عن مسلك معاصريه من العلماء الذين كانت لهم منزلة كمنزلته أو أقلّ منها، ممّن بالغوا في مظاهر التعظيم لأنفسهم، وكانوا لا يخرجون إلّا في مواكب شبيهة بمواكب

[١] القصيدة الخامسة من مثنوى **الخبز والحلوى**، ترجمة نفيسي، ص ١٢٢.

الملوك[1]. أمّا هو فكان يجوس أحياء الفقراء، ويدخل أكواخهم، ويجالسهم، ويطّلع على أحوالهم. ويُروى أنّ الشاه عبّاس استحسن أن يلفته، بلياقة، إلى أنّ هذه الزيارات لا تتناسب مع مكانة شيخ الإسلام، فقال له يومًا:

"سمعتُ أنّ أحد كبار العلماء يكون مع الفقراء والأراذل في أكواخهم، وهذا أمر غير لائق. فأجابه الشيخ: هذا الأمر غير صحيح، فأنا كثيرًا ما أكون في تلك الأماكن، ولم يحدث أن رأيت أحدًا من كبار العلماء هناك"[2].

دلال عبّاس،

"المقدّمة" في **التَّدَيُّن والنِّفاق بلسان القطّ والفأر**، (ترجمة [عن الفارسيّة] وتحقيق)، تأليف بهاء الدِّين العامليّ، الطبعة الأولى، لندن – بيروت، رياض الريّس للكتب والنشر، ١٩٩٦، ص ١٥ – ١٦، ١٨، ٢١ – ٢٢.

###

فمن حيث أعماله فإنّه يُعَدّ، في القرن الحادي عشر الهجريّ، من ألمع العلماء، وأبعدهم صيتًا، وأرفعهم مكانة ونفوذًا. فإلى جانب ثقافته الإسلاميّة العالميّة، وتضلّعه من الفقه وعلوم الدين، كان عالِمًا أيضًا في الآداب والهندسة والحساب والجبر والفلك والحكمة وعلم الكلام، وغيرها من العلوم التي لم يَحُمْ حولها سواه كما قيل. إلّا أنّ شهرته في علوم الدين كانت هي الغالبة. ومع ذلك فقد اشتهر عنه [...] أنّه تمكّن من استعمال الطاقة الذرّيّة، وأنّه توصّل إلى اكتشاف بعض قوانين الانعكاسات الصوتيّة [...]، وأنّه وضع ذلك موضع التنفيذ في بعض مساجد أصفهان، فتَسمع صوت الإمام أينما كنتَ في المسجد. أمّا إذا تحوَّل الإمام من مكانه قيد خطوة فلا يسمعه إلّا مَن كان حوله؛ وأنّه وضع قواعد للأشكال الهندسيّة المسطَّحة والمجسّمة. [...]. ويُقال أيضًا إنّه صنع ساعة ذات حركة دائمة بلا حاجة إلى مَن يدوِّرها. فضلًا عن أمور كثيرة غيرها نجترئ عن ذكرها لغرابتها، ولأنّها أدخلت الرجل في حيِّز الأسطورة.

محمّد عبد الكريم النَّمِريّ،

"ترجمة المؤلِّف" في **المِخلاة**، تأليف الشيخ العالِم بهاء الدين محمّد بن الحسين العامليّ المَتوفّى سنة ١٠٣١ هـ[3] ، طبعه وصحَّحه ووضع حواشيه محمّد عبد الكريم النَّمِريّ، ط ١، بيروت، لبنان، منشورات محمّد علي بيضون، دار الكتب العلميّة، ١٩٩٧، ص ٤– ٥.

###

مُحمد بن حُسين بن عبدِ الصمد بن عزّ الدين الحارثيّ العامليّ الهمذانيّ الملَّقب بهاء الدين، والمعروف بالبهاء العامليّ والمنلا بهاء الدين، وهو أشهر من لُقِّب بالعامليّ. وقد أورَدَ سيرة حياتِه ابن معصوم، والشهاب الخفاجيّ، وأبو المعالي الطالوبيّ، والبديعيّ، والمنيجيّ، والمحبيّ، وأطالوا في الثناءِ عليه، ووصفِ علمِه وفضله وشعره ونثره، [... وفي مُصنَّفاته] ما يُشهد له بالذكاء، وعلّو الهمّة، وغزارة الفضل. [...] فذاع صيته في أقطار البلاد، وقصدَتْه العلماء والطلّاب، وشَغَفَ

[1] **أعيان الشيعة**، ج ٧، ص ١٤٥، نماذج لمثل هؤلاء العلماء.

[2] أعيان الشيعة، ج ٩، ص ٢٣٦، ومستدْرَك الوسائل، ج ٣، ص ٤٤٠.

[3] [يُشار إلى أنّ كتاب **المِخلاة** المنشور منسوب خطأً إلى العامليّ. ويُراجع بهذا الشأن دلال عبّاس في كتابها **بهاء الدين العامليّ أديبًا وفقيهًا وعالِمًا**، ط. ١، بيروت، دار المؤرّخ العربيّ، ٢٠١٠، ص ٢٧٧–٢٨٨].

به عبّاس شاه، وقرّبهُ إليه، فكان لا يفارقهُ، ويستصحبهُ معهُ في أسفاره، وأقرّه على رئاسة العلماء، فَحُسنَت حالهُ، واتّخذ دارًا فسيحة كانت ملجأً الأيتام، والأرامل، والطالب، والفقير، وكلّ ذي حاجة. وكان على سَعَة حالهِ متورّعًا زاهدًا في الدنيا، راغبًا في الانقطاع إلى السياحة والتدريس والتأليف، فلم يتسنّ له في أوّل الأمر مفارقة الشاه، وأخذ يؤلّف المؤلّفات الجليلة[...].

المعلّم بطرس البستاني،

"عامليّ (٦)" في **دائرة المعارف**، مجلّد ١١، **من الألف إلى أبو الأملاك**، بيروت، لبنان، دار المعرفة، [د.ت.]، ص ٤٦٢.

###

أمّا الفلسفة فقد خاض البهائيّ في أكثر ميادينها. نذكر أهمّها: الجزء الّذي لا يتجزّأ. امتناع اللامتناهي. الأقانيم عند المسيحيّين. الشعور ومَأتاه. العُلوليّة. النفس الإنسانيّة. السعادة. الواجب. الوجود والموجود. المعرفة.

نلخّص رأيه في بعضها.

النفس الإنسانيّة

للبهائيّ رأي المتصوّفين في النفس الإنسانيّة. إنّها لطيفةٌ رَبّانيّة، روحانيّة، بعيدة كلّ البعد عن معالم المادّة: لها مع الجسم تَعَلُّق التدبير والقيادة. وقد رآها على ثلاثة أنواع: النفس الأمّارة، النفس المطمئنّة، النفس اللوّامة.

إنْ كانت مُسخَّرة للقوّة البهيميّة المائلة إلى طبيعة البدن، فهي النفس الأمّارة، الآمِرة باللذّات والشَهَوات الحسّيّة. هي مأوى الشرّ. هي منبع الأخلاق الدنيئة. هي مصدر الأفعال الرديئة.

إن كانت حاكمةً على القوّة البهيميّة، منقادةً للقوّة المَلَكيّة، راسخةٌ فيها الأخلاقُ المَرْضِيَّة، فهي النفس المطمئنّة المُترقِّبة إلى جانب القُدْس، المُتنزِّهة عن جانب الرِجْس، المواظبة على الطاعة، المتشوّقة إلى رفيع الدرجات.

إنْ لم يكن فيها شيء من الأخلاق الفاضلة، ولا الرذائل المُهْلِكة، بل تميل إلى الخير تارةً وإلى الشرّ أخرى، وإذا صدر عنها شيء فَلَامَتْ نفسها، فهي النفس اللوّامة، الحاصلة من النور على مقدار ما تتنبّه به من سِنَة الغَفْلة.

الواجب

يرى الشيخ البهائيّ أنّ شكرنا للّه واجب. بل هو الواجب الأمثل. إذ لا مَندوحة للعقل من الحكم بذلك، على اعتبار أنّ من ينظر إلى ذاته وإلى ما وُهب من قوًى باطنة وظاهرة على السواء، وما يكتنف تركيبَه من دقائقَ عجيبة وعناصرَ كثيرة، يدرك لزوم الحتميّة لوجوب وجود واجب الوجود، لأنّه هو أصل هذا التأليف الدقيق وسببه.إنّ شكر العقل على ألطافِ واجب الوجود أمرٌ واجب. وفعل العكس يكون على مكابرة ومغالطة تستوجبان العقاب، لحلول المسؤوليّة على العقل.

الواجب الّذي يتحدّث عنه البهائيّ هو الواجب العقليّ، لا الشرعيّ. وقد ربط الأخلاق بالوجوبيّة العقلانيّة. لقد رأى أنّ العمل الحسن جميل في حدّ ذاته، كما رأى أنّ العمل القبيح رديء في حدّ ذاته، لأنّ العقل يوصي بذلك ويؤكّده بمعزل عن رأي الشرع أو الدين. لذا أعلن البهائيّ نقمته على الأشاعرة لأنّهم دبّجوا البراهين الضعيفة من أجل إبطال عقلانيّة الحُسن والقبح.

كمال يوسف الحاج،

"إمام شيعيّ من لبنان: البهائيّ (١٥٤٧ – ١٦٢٢م/ ٩٥٣ – ١٠٥٣هـ)" في **المؤلّفات الكاملة**، المجلّد الحادي عشر، **في الفلسفة اللبنانيّة** (٢)، الطبعة الأولى، جونيه، بيت الفكر، أَسَسِيَّة كمال يوسف الحاج، ٢٠١٤، ١١/موجز/ ٨٢٤– ٨٢٥، ٨٢٩ – ٨٣٢، ٨٤٠ – ٨٤١.

###